Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

دراسة مونوغرافية للفقارة في المجتمع التيميموني

A monographic study of the feggara in the Tamimuni community

شماخي موسى إسماعيل
Chamahki moussa ismail
Aekou_ismailchemakhi88@gmail.com
جامعة علي لونيسي البليدة 2
University of Ali Lounisi Blida 2
مخبر الجريمة والانحراف بين الثقافة والتمثلات الاجتماعية
Crime detective and deviation between culture and social representations

معتوق جمال
Matouk Djamel
MATOUK59@yahoo.fr
جامعة علي لونيسي البليدة 2
University of Ali Lounisi Blida 2
مخبر الجريمة والانحراف بين الثقافة والتمثلات الاجتماعية
Crime detective and deviation between culture and social representations

تاريخ الاستلام : 2018-09-15

تاريخ القبول : 2018-11-22

ملخص :

تعتبر الفقارة في المجتمع التيميموني إرث يمتد إلى العصور السابقة، وقد تعددت الدراسات المحدِدَة لجذور هذا الموروث ومنبع أصوله ،فهناك من يرى أنها تعود إلى اليهود الذين قدموا المنطقة واستغلوا مياهها الجوفية قبل أن يحاربهم الشيخ المغيلي قبل خمس أو ست قرون، ومنهم من يرى بأن قبائل زناتة هم أول من أسسوا أول فقارة بمنطقة توات الكبرى وبالضبط بتمنطيط أطلقوا عليها اسم فقارة هنو، قبل أن يطردهم اليهود و يرحلون و يقطنون منطقة تيميمون مؤسسين عديد الفقاقير، وهناك من يرى بأنها تعود إلى الفارسيه الذين جلبوها الى العراق ثم انتقالها الى مصر بالصحراء فليبيا فالجزائر.

إنه وبالرغم من اختلاف الدراسات المحددة لأصل الفقارات، لكنها جميعا تتفق في شرحها لنمط عملها كنظام دقيق يخلفه أنساق عديدة من القوانين الفرعية نذكرها في الآتي:

1) نظام اقتصادي: يحوي مجموعة القوانين المحددة لكيفية استغلال المياه، و تقسيمها تقسيما رياضيا عادلا حسب مساهمات المشتركين.

2) نظام اجتماعيٌ:يأتي متمِّماً و تابعا للنظام السابق، فطريقة التقسيم واضحة المعالم تبعث في النفوس رضاً ما يؤدي إلى السير الحسن لعملية الاستفادة من مياه الفقاقير دون ميدشاكل قد تعصف بالاستقرار المجتمعي.

3) نظام ثقافيٌّ:إن تداخل النظامين السابقين معا و تكرر هاته الممارسات السوسيواقتصادية يُصيِّرُ من هذا النظام الدقيق (الفقارة) قيمة من القيم المجتمعية الهامة والمحدِدَة لهوية المجتمع وضمان اسقراره.

إذن فالفقارة ليست وسيلة للسقي وفقط بل إحدى العوامل المشكلة و المحددة لهوية المجتمع التيميموني و أيّ خلل بها يؤدي بالضرورة إلى خلل في توازن هذا المجتمع.

كلمات مفتاحية: الفقارة. القيم.، المجتمع. تيميمون.، الهوية.

Abstract:

There are many studies of the roots of this heritage and the source of its origins. Some believe that it belongs to the Jews who came to the area and used their groundwater before they were fought by " Sheikh Maghili " five or six centuries ago, Some of them believe that the tribes of " Zenata " are the first to establish a period in the " Greater Toaut region " in the name of "hennou " In the area of Tamantitit, Before they were expelled by the Jews They then head to the "Timmimun area " and build " fgagire ", and there are those who think that belong to the Persians Who came to Iraq, Egypt, Libya and Algeria with this legacy

Although different studies of the origin of the " fgagire " differ, they all agree to explain the pattern of their work as a precise system followed by several types of sub-laws, as follows:

1) Economic system: It contains a set of laws for the use of water, and a fair mathematical division according to participants' contributions.

2) Social system: Complementing and following the former regime, a clear way of division gives satisfaction to the good conduct of the process of taking advantage of the water of " fgagire ", without meddles that may disturb the stability of the community.

3) Cultural system: The overlap of the two former systems together and the repetition of these socio-economic practices becomes the value are important and specific to the identity of the community and ensure its stability.

Therefore, " fgagire " is not a means of watering, but rather one of the factors that and specific to the identity of the Tamimuni society and any defect that necessarily leads to imbalance in this society.

Keywords: feggara. Values, society. Timimon, Identity.

مقدمة:

إن دراسة الثقافة والشخصية والهوية، تتكامل فيها العلوم الإنسانية الثلاثة " علم النفس، وعلم والأنثروبولوجيا "، تكاملا كبيرا، ولعل هذا ما حدا ببعض العلماء أن يجعلوا من الثقافة والشخصية، والهوية، فرعا جديدا من فروع أنثروبولوجيا الثقافة، وكذا الأنثروبولوجيا النفسية، ذلك أن الشخصية هي مجموعة من الدلالات التي تكشف عن طبيعة الأفراد في أي مجتمع من المجتمعات، ولاشك أنها ذات طبيعة مرنة ومتغيرة وقابلة للتبدل بفعل العديد من العوامل الاجتماعية والتاريخية، وتاريخ المجتمع هو المنبع الأول للمكونات الثقافية الشخصية القومية.

فالإنسان حين يولد يجد نفسه مضطرا للتكيف مع بيئات فيزيقية، وأخرى اجتماعية وثقافية، وعليه أن يعايشها ويتلاءم معها، ولذلك يستند التفسير في تحليل الشخصية إلى تلك المكونات الثقافية على اعتبار أن البيئة الفيزيقية والإجتماعية والثقافية هي خصائص عامة يخضع لها سائر الأفراد في المجتمع، وهي القضية الأولية أو المسألة الجوهرية في نظرية الثقافة والشخصية، وبالتالي:

- فكيف تساهم الفقارة في تحقيق تكيف الإنسان التيميموني إجتماعيا؟

- وما هو واقع حال الفقارة في منطقة تيميمون؟

2. تعريف الفقارة:

1.2 من أهم التعريفات الإصطلاحية لـ "الفقارة " الفقارة تتشكل من مجموعة من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة تتجمع بها المياه الجوفية وتسير مياه هذه الآبار في مجرى ذي فوهات لمسافات بعيدة حيث تنحدر ببطء عن طريق الإنحدار التدريجي لهذا المجرى، وينتهي المجرى بحوض كبير تتجمع فيه المياه يسمى " الماجن " ومنه تخرج القنوات تحمل المياه إلى بساتين أصحاب " الفقارة "، كل حسب نصيبه" [1].

2.2 " الفقارة " نظام كلاسيكي يساهم في الحفاظ على المياه، وتقسيمها تقسيما محكما، تعود جذورها إلى أكثر من 1000سنة في بلاد فارس، وبلاد مابين النهرين، وانتشرت عبر باقي القارت في آسيا كالهند والصين، وإفريقيا، وهي عبارة عن سلسلة من الآبار المترابطة يشرع فيها من جهة عالية، نازلين بها إلى أن يصير الماء جاريا على وجه الأرض". [2]

3.2 " الفقارة "عبارة عن سلسلة من الآبار يتصل بعضها ببعض، وتنحدر مياهها من مستوى أرضي عال إلى مستوى منخفض يشرف على تربة صالحة للزراعة فيجري عليها منسوب ماء الفقارة ". [3]

3. أنواع الفقارة: [4]

1.3 حسب الميل والإنحدار:

أ. ذات الميل العالي: وهي التي يكون ميلها كبيرا، وتسمى " مازر"، وهي قابلة لزيادة تعميق القناة.

ب. ذات الميل المتوسط: وهي التي يكون ميلها لا بالكبير ولا بالمنخفض.

ت. ذات الميل المنخفض: وهي التي يكون ميلها ضعيف جدا حتى تظن أنها مستوية، وماؤها متوقف، وتسمى " وانتة "، وهي غير قابلة للتعميق.

2.3 حسب نظام التوزيع:

وهي توعان:

أ. فقارت وقتية (ساعية): والتي يتوزع ماؤها حسب الوقت، فكانوا في القديم يعتمدون في تقسيم الوقت على الظواهر الطبيعية، كالقمر أو النجوم فالليلن والشمس والظل في النهار، ثم استبدل ذلك بالساعة الزمنيةن والخبير هو الذي يقسم الأوقات حسب ملكية كل مستفيد منها.

ب. فقارات مشطية: والتي توزع الماء حسب التدفق، وتسمى المشطية لأن مجاري المياه بها تشبه المشط، حيث تنتهي الساقية الرئيسية بواسطة موزع المياه (المشط أو القسرية)، الذي يسمح بتقسيم التدفق على المواجن الفردية.

3.3 حسب إيرادها المائي:

ونميز ثلاث أنواع هي:

أ. الفقارات الكبيرة: وهي التي يزيد عدد حباتها عن 1000 حبة.

ب. الفقارات المتوسطة: يتراوح عدد حباتها بين 100-1000 حبة.

ت. الفقارات الصغيرة: عدد حباتها لا يتجاوز 100 حبة.

4.3 حسب عدد الآبار:

أ. الفقارة الطويلة: يبلغ عدد آبارها حوالي 800 بئر.

ب. الفقارة القصيرة: يقل عدد آبارها عن 80 بئر.

5.3 حسب درجة استغلال مياهها:

ونميز بالمنطقة ثلاث أنواع من الفقارة هي كالتالي:

أ. فقارة ذات استغلال دائم: هذا النوع من الفقارة يتم تغذيته من الطبقة العميقة للأرض.

ب. فقارة ذات استغلال محدود: وهي التي تتغذى من الطبقة السطحية للأرض.

ت. فقارة ذات استغلال متنوع: وهي التي تتغذى من الطبقات الجوفية للأرض، حيث تكون نوعية مياهها متوسطة وغير صالحة للشرب. [5]

4. أهمية الفقارة:

1.4 الأهمية الإجتماعية:

إن أهمية الفقارة بالنسبة للحياة الإجتماعية لا تنحصر في الشرب والغسيل فحسب بل تظهر في عدة أغراض أخرى كثيرة في وقت مضى أي قبل ظهور الخزانات المائية الحديثة، كان سكان الصحراء يعتمدون في حياتهم المعيشية بنسبة كبيرة على مياه الفقارة، بحيث كانت تعد المصدر الوحيد للماء في الصحراء، فلذا إستعملوها في الشرب والغسيل والطهي والري والبناء، كما أنها تحافظ على النمط المعيشي المشترك، فهي عملية ترويض للطبيعة الصحراوية، بطريقة ذكية وبعملية جماعية، دون انتظار المساعدات من السلطة السياسية. [6]

2.4 الأهمية الإقتصادية:

تعتبر الفقارة من المصادر المائية الهامة بالصحراء والتي لم يستطع السكان الإستغناء عنها، فهي الإدارة الرشيدة للمياه، [7] ومع زيادة فاتورة المياه ذات نظام الري الجديد والتي لا يستطيع كل شخص تسديدها، أصبح الرجوع إلى الفقارة أمر ضروري لتغطية المصاريف التي يأخذها هذا النظام سنويا وهنا تتجلى أهمية الفقارة من الناحية الإقتصادية كالتالي:

- الفقارة تعتبر مصدر مائي دائم ومجاني.
- الفقارة تعتبر عامل فعال في تنشيط الزراعة في المنطقة.
- تزيد الفقارة من مردودية الإنتاج الفلاحي ونوعيته ، وهذا راجع للمياه المستخدمة في ري المحاصيل.
- لا تحتاج الفقارة إلى طاقة " كهربائية، ميكانيكية " لإستخراج الماء.
- تمتاز مياه الفقارة بميزة تتمثل في علاج بعض الأمراض بالصحراء مثل فقارة " إديغ " بتيميمون.
- تعمل الفقارة على الحد من إنتشار البطالة وذلك بتوفير مناصب شغل لدى فئة الشباب.

3.4 الأهمية الفلاحية:

من خلال دراستس الميدانية اتضح لي أن أهمية الفقارة في الميدان الفلاحي تتجلى في تزويد المحاصيل النباتية بالمياه، وذلك لأنها أُنشئت لهذا الغرض ولإعطاء منتوج فلاحي جيد، وقد أخبرني الفلاحون أنهم يعتمدون بأكثر من 50% على ما تنتجه مزارعهم في سبيل عيشهم، فيها تزرع " البشنة " التي تعد من أهم المحاصيل التي يعتمدون عليها، خاصة في إعدادا " الحساء " الذي يعد ضروريا في الصباح، والعديد من المحاصيل كالشعير، والخضر والفول السوداني، دون أن ننسى النخيل الذي من دون شك أهم المحاصيل وغيرها. وكل ما تقدمه الفلاحة من إنتاج لأهل المنطقة يعود الفضل فيها لنظام الفقارة، ومن هذه الأهمية نذكر ما يلي:

- تحسين الكمية والنوعية بالنسبة لإنتاج التمور.
- التوسع في الرقعة الزراعية، ومدى ملائمتها لإنتاج مختلف المحاصيل.

4.4 الأهمية الثقافية والسياحية:

وقد أثبتت الأدلة الأثرية في شبه الجزيرة العربية القديمة، وفي أماكن أخرى أن حجب مياه الأمطار مع الصخور، وتحويل ذلك إلى الميادين أقرب أساليب الري المستخدمة في البلدان القاحلة. وكان أسلوب آخر يستخدم في الإمارات العربية المتحدة منذ العصر البرونزي حفر الآبار الرأسية لاستغلال المياه الجوفية. يجب أن مجتمعات العصر الحجري الحديث استخدمت نفس الأساليب لتلبية احتياجاتها على الرغم من عدم وجود أدلة أثرية تثبت ذلك من العصر البرونزي، ومع ذلك، هناك أدلة أثرية كثيرة لاستخدام هذه الطريقة، وبعد نهاية العصر البرونزي اكتشفت المجتمعات التي عاشت خلال العصر الحديدي أسلوب ري جديد، نتيجة للمحاولات الرامية إلى التغلب على الجفاف " الأفلاج "،

في العراق وإيران، والصحراء الكبرى الغربية، ويرجع تاريخها إلى العصر الحديدي جنبا إلى جنب مع المستوطنات القديمة المرتبطة بها والواحات القائمة، التي هي المروية بنفس النظام، مشكلة جوهر التراث المائي، الملموسة وغير الملموسة، وينعكس الجزء غير المادي في أساليب إدارة المياه المستخدمة، [8] إذن فالفقارة تعد من أقدم الموارد المائية بمنطقة تيميمون، وهي أهم مورد مائي يعتمد عليه الفلاح في القطاع التقليدي، وإلى جانب أهميتها الفلاحية فهي تصنف ضمن المعالم الأثرية، تتعاقب عليها عدة أجيال وأجيال، كما تساهم في دور الرفع من كفاءة نشاط الجمعيات المكلفة بالتعريف لهذا التراث الحضاري القديم وذلك بإعطائها صورة جيدة، ومكانة مرموقة عالية لكونها منبع حياة أهل الصحراء، مما يحتم على السلطات المحافظة عليها وصيانتها، و تخصيص مبالغ مالية تدعمها.

5.4 الأهمية الإيكولوجية :

من خلال دراستنا الطبيعية الإستطلاعية لمنطقة تيميمون تبين أن إقليم قورارة يشكل مدرجا من حيث تموضع أجزاءه الطبيعية الرئيسية " الهضبة، مجال التوسع، المدينة، الواحة، السبخة " من الجهة الشرقية نحو الغربية وهو ذاته الإتجاه المشترك بين اتجاه جريان المياه الجوفية واتجاه سلسلة آبار جملة فقاقير المنطقة كما أن هناك رياح موسمية سائدة شمالية شرقية ورياح غربية.

إن نطاق المدينة " قصور تيميمون " كمثال لما سبق، محصور بين الواحة من جهة ومجال انتشار آبار الفقاقير هذا التموقع المميز للمدينة " القصور" يساعد على انتشار تيارات هوائية باردة المحملة من الواحة عن طريق الرياح الغربية مرورا عبر نفق الفقارة بداية من القسرية الرئيسية حتى خروجه من فوهات الفقارة.

أما في حالة الرياح الشرقية تصطدم هذه الأخيرة بالتيارات الباردة التي تتصاعد من فوهات جملة آبار فقاقير قورارة مقللة بذلك من درجة حرارة هاته الرياح.

5. وظائف الفقارة:

- تمكننا من فهم ثقافة المجتمع باعتبارها جزء من مكونات النطاق الثقافي الأوسع. [9]

- تساعد الفرد في تحديد مكانه في الجماعة التي ينتمي إليها، فقد أجرى " تاجفيل " سنة 1971 تجاربه على مجموعة من الأفراد، واتضح له أن التصنيف الإجتماعي للأفراد في جماعات متمايزة، بإمكانه وحده أن يحدث سلوكات بين الجماعات، فيسعى الأفراد المفحوصون، إلى تفضيل أعضاء الجماعة الداخلية أكثر من أعضاء الجماعة الخارجية، [10] فالفقارة تعطي كل فئة حقها في الماء سواء كانت هاته الفئة قد ساهمت بمجهود عضلي أو مالي، أو لم تساهم لضرر لحق بأحد أفراد الجماعة، وبالتالي فهي تضمن حق الغائب والمريض والمعوز، ما يطلق عليه بمصطلح الرباط الإجتماعي فتحقيق هوية اجتماعية إيجابية بإدراج الفرد ضمن الجماعة واكسابه المعاني القيمية والوجدانية المتعلقة بهاته العضوية، وسعيه بأن يرى جماعته أكثر إيجابية من الجماعات الأخرى التي لا ينتمي إليها. [11]

- تعمل الفقارة على ترسيخ مفهوم الإبداع الإجتماعي " **social creativity**"، [12] حيث يختار الأفراد الأبعاد والنواحي التي تزيد من إيجابية جماعتهم، باختيار النواحي الإيجابية لتكون اساسا للمقارنة بينها وبين الجماعات الأخرى، فالفقارة تجعل من الفرد التيميموني مكنفيا من مادة أساسية هي الماء، دون الحاجة إلى انتظار الحكومة في بناء خزانات المياه الحديثة، فهي تحفظ بقاء المزارع الممولة للسكان بالبشنة والشعير كمواد أساسية دون انتظار السوق الأسبوعية، فاكتفاء الفرد التيميموني غذائيا ليس معناه مقارنته نفسه بالآخرين الذين يتناولون ما لذ وطاب كل يوم، بل إشباعه حاجياته من خلال العلاقة الوجدانية بينه وبين ما يحيط به من مواد ثقافية مادية وغير مادية، تلقنها مذ نعومة الأظافر، ما يؤكد دور مؤسسات التنشئة الإجتماعية وأخص بالذكر الأسرة والزاوية في استمرار هاته العلاقة.

- تتحقق وظيفة الفقارة في تشكيل الهوية التيميمونية كممارسة سوسيوثقافية من خلال الرؤية التالكوتية حيث يرى " تالكوت بارسونز" بان الممارسات السوسيوثقافية هي جملة الأدوار الإجتماعية للأشخاص، في ضوء أنماط التوقعات المحددة ثقافيا، والتي تكون نظاما إجتماعيا يضمن إستقرار وتماسك المجتمع، ويحافظ على قيمه ومعاييره. [13]

- تعمل الفقارة على تحديد وتدعيم الجوانب المختلفة من الثقافة، وإتاحة الفرصة لظهور مناسبات التعبير عن التضامن الإجتماعي، [14] وهذا ما يتجسد بالضبط في طقوس حفر الآبار، وما يصاحبها من مدائح جماعية قبل وأثناء وبعد الإنتهاء من الحفر، تبعث في نفوس الأفراد روح الإحساس بالتضامن.

- تعمل الفقارة ، على تجاوز الزمن من خلال تكرارها أقدميتها، وتكون بذلك عملية تواصلية بين الأجيال. [15]

6. واقع الفقارة في منطقة تيميمون :

1.6 عرض بعض المقابلات المجراة في تيميمون:

المقابلة 01: مع عمي عبد الله بوشنة مزارع و" كيال " أحد القائمين على تقسيم مياه الفقارة بمنطقة توات الكبرى 84 سنة، ينحدر من منطقة آولف جنوب أدرار، 2016/12/22، الساعة 14:59:

السلام عليكم عمي عبد الله.

عمي عبد الله: وعليكم السلام ورحمة الله.

وددت سؤالكم عن كيفية تقسيم مياه الفقاقير؟

عمي عبد الله: توزيع المياه من قديم الزمان، يتم عن طريق آلة تسمى " الشقفة "، مقسمة إلى مدخل رئيسي يدخل منه ماء الفقارة، ومخارج متنوعة متمثلة في حبات زريق وحبات معبود.

ماذا تقصد بحبات زريق؟

هي عبارة عن الثقوب التي تخرج منها المياه تختلف حبات الزريق عن حبات المعبود، فحبات الزريق يتم تقسيمها إلى حبات معبود، حبات زريق عبارة عن سلعة ، وحبات معبود عبارة عن أشخاص.

إشرح لي أكثر؟

تسمى حبات معبود في حالة اشترك الأشخاص بمجهودهم العضلي في حفرها، وتسمى زريق إذا كانت المساهمة بالمال أو بالسلع، كما أن حبة المعبود ساكنة في حين حبة الزريق تسير، يستمر في كلامه قائلا: تسمى هاته العملية الكيل، والكيل عنده صاحب سجل الخاص بالفقارة، وشخص آخر يقوم بالحساب، وآخر يكيل بالشقفة.، والإنسان الذي يكيل بالشقفة و" يعبر الماء "، يقوم بتقديمه إلى صاحب الحساب يسأل صاحب السجل، كم توجد من حبة في السجل " المدرة "، حتى يقوم بتقسيم الماء الذي قدمه له صاحب الشقفة.

وهل تغيرت طريقة الحساب هاته والكيل عن السابق أم بقيت مثلما كانت؟

عمي عبد الله: منذ ثمانينيات القرن الماضي وهي البعثات تأتي من فرنسا من أمريكا من اليابان، صوروا واستغربوا فيه، وجدوه نظاما دقيقا وبقي هو هو.

ما كان سبب استغرابهم؟

عمي عبد الله: لأن حبات زريق ومعبود يتقسمون إلى قيراط والقيراط يتقسم إلى نصفين ايضا، ويحمل الشقفة أمامي ويريها لي، ويستمر في إعادة كلامه هذا القيراط وهذا حبة معبود، وهي آله دائرية الشكل وبها الثقوب في سائر الإتجاهات من الوسط حبات الزريق، ومن الأعلى القيراط، وكل حبة زريق تساوي عشرون قيراط، وتوجد بها ثقوب أخرى ايضا عبارة عن نصف قيراط، ونضع " السعفة " في حالة التقسيم.

ماهي " السعفة "؟

عمي عبد الله: هي عبارة عن ورقة رقيقة من جريد النخل نفصل بها أثناء التقسيم، والتقسيم متعلق دوما بمنسوب المياه.

كيف ذلك؟

عمي عبد الله: يضرب لي مثلا قائلا: إذا كنا نحن عشر أشخاصن ولدينا مئة كلغ من اللحم، وساهمنا فيها بنفس النسبة، أثناء تقسيمنا لهاته المئة كلغ، نقسم مئة على عشرة تعطينا عشرة كلغ للواحد، لكن في حالة كان لدينا تسعون كلغ، يستلزم منا تقسيمها على عشرة ايضا فيختلف النصيب عن السابق بحيث يصير تسعة كلغ للواحد، نفس الشيئ في نظام تقسيم المياه، فالمسألة متعلقة بمنسوب المياه، إذا كان مرتفعا يقسم حسب مساهمة كل شخص، وإذا كان منخفضا يتم تعديل القسمة.

إذن سواء ارتفع أو انخفض منسوب الماء " الشقفة " هي الحل.

عمي عبد الله: سواء كانت الفقارة كبيرة أو صغيرة عمل" الشقفة " يبقى هو القسمة العادلة، كل حسب مساهمته، ونحن نقوم بوضع " الشقفة " على طينة صغيرة ونقسم، ثم نحمل تلك الطينة ونضعها في مكان مجرى الماء، نطلق عليه " القسرية ".

إذن الشقفة هي القاضي بين الناس.

عمي عبد الله: نعم لما يتم تقسيم المياه الجميع يقول " الكيال اعطاني ".

من خلال كلامك عمي عبد الله أفهم بأن الكيال متفق عليه من الجميع.

عمي عبد الله: الكيال يجب أن يكون صادقا، " وما يكون طماع ولا جبان "، يجب أن يكون خادما لله سبحانه وتعالى، لا يجب أن يكون " خوافا " عندك حقك أعطيه لك يكفيك أو لا يكفيك " دبر راسك "، " وكي نعطيك حقك وما يعجبكش كسر الشرع "، ويأتونك بكيال آخر.

شكرا جزيلا عمي عبد الله.

عمي عبد الله: يبتسم ويقول العفو.

المقابلة 02: مع حميد محمد بن عبد الرحمان، مزارع بقصر ليشتة، 2017/05/01، الساعة 19:41.

السلام عليكم وددت سؤالكم عن الفقارات المتواجدة بمنطقتكم هنا؟

حميد: السلام عايكم ورحمة الله، فيما يخص الفقارات المتواجدة بليشتة، هناك من هي جارية وهناك من هي متوفقة، فهناك " تالماست " هي القديمة سقطت منذ خمس سنوات تقريبا، رغم أننا خرجنا وقمنا بالتويزة ولكننا لم نصل إلى المياه وإلى الخلل، وهناك فقارات لازالت موجودة مثل " محيو " نسقي بها الجنان، وهناك فقارات خاصة ببعض الأشخاص فقط متوارثة مثل " مايغنو "، وهناك ايضا " هنو "، وفيما يخص مسألة التويزة فقط نقصت على أيام زمان.

ماهو السبب في رأيكم؟

حميد: لأن الناس لم تعد تعتمد على الزراعة مئة بالمئة وأصبح البديل موجودا في السوق، بالإضافة إلى دخول الزراعة الحديثة " الصوندا كل واحد بحاسيه ".

شكرا لكم أخي الفاضل.

حميد: العفو.

المقابلة 03: مع أسلافي عبد الحميد، طالب جامعي، زاوية الحاج بلقاسم، 2017/04/23، الساعة 22:53.

السلام عليكم، وددت سؤالكم عن الفقاقير الموجودة بمنطقتكم؟

عبد الحميد: وعليكم السلام ورحمة الله،عندنا أربع فقاقير " تازروت "، " ريغ "، " العباس " عنده سنوات منذ أن جف، وهناك ايضا " أوسيف "، وهناك " الحاج قلمان "، حاليا " تازروت " جف.

حسنا هاته الفقارات التي جفت ماذا حدث للمزارع التي كانت تمولها؟

عبد الحميد: تقريبا كلهم جفوا، وسبب جفاف فقارة " تازروت " هو " الصوندا " قاموا بحفر بئر عميق جنبها، أما فقارة " ريغ " فنقص منسوب مياهها، إلا أن آباءنا قاموا سابقا بتويزة لإعادة بعثها في السنوات الماضية، أما " أوسيف " فأيضا جفت، ولا أدري إن كان السبب " الصوندا " أو تهدمها في مكان ما، لم يتم التعرف عليه، والتويزة الآن نقصت كي يعيد بناءها، فالناس صاروا يتجهون نحو السقي الحديث في الغالب. ومازالت " الحاج قلمان " جارية.

شكرا جزيلا أخي.

المقابلة 04: مع مريني أحمد، مزارع، قصر تحتايت، 2017/05/03، الساعة 18:05.

السلام عليكم عمي، وددت سؤالكم عن الفقاقير المتواجدة بمنطقتكم هنا؟

مريني أحمد: كاينة فقارة يقولون لها " علي والحاج "، جارية تبارك الله، وهناك أيضا " زقور " ومعناها زاوية الماء، نظرا لكثافة مياهها، و" فقارة الكبير " ايضا لا زالت جارية وتمول الجنانات.

وهل هي التي تمول كل المزارع هنا في قصركم؟

مريني أحمد: نعم " يالله نمشوا وتشوف بعينيك "، تبارك الله " خيرات مولانا ".

وهل لا زلتم تقيمون التويزة لما تتعرض الفقارة للهدم؟

مريني أحمد: نقصت ليس كالسابق بحكم أن قصر تحتايت، لم يعد كالسابق تغير السكان وصاروا خليطا ومزيجا من كل الجهات، " الأغلبية براويين "، لكنها مازالت موجودة يحافظ عليها السكان الأصليون.

متى قمتم آخر مرة بالتويزة ؟

مريني أحمد: لا يتجاوز الأمر خمس عشرة يوما.

وكيف يتم الإعلان لهاته التويزة في منطقتكم هنا؟

مريني أحمد: يتم عن طريق الإلتقاء بالناس، " واحد يقول لواحد ".

شكرا جزيلا لتعاونكم عمي.

المقابلة 05: مع طاهيري جيلالي، طالب جامعي، قصر اولاد الطاهر، 2017/05/03، الساعة 22:33.

السلام عليكم اخي الفاضل، وددت سؤالكم عن واقع الفقارة في منطقتكم؟

طاهيري جيلالي: وعليكم السلام ورحمة الله، لدينا هنا فقارة الشعايب، وفقارة تيط، وفقارة الحاج يحيى، لحد الساعة لا يزال

ينبعون، لكن منسوب المياه نقص نوعا ما، لم تعد التويزة كالسابق، نقصت ثقافة التويزة عند المجتمع هنا، فآخر مرة تمت فيها التويزة حوالي أربع سنوات.

ماهي اسباب هذا العزوف عن التويزة في مجال الفقارة؟

طاهيري جيلالي: السبب الأول هو اسلوب السقي الحديث، الحنفية اصبحت في المنازل، عندما تنهض صباحا وتجد الماء في الحنفية لا تعطي أهمية للساقية، حتى أن الصغار تمردوا نوعا عن كلام وطريقة عيش والديهم.

هل تقصد التمرد في كل شئ؟

طاهيري جيلالي: لا فمن ناحية الثقافة الدينية القرآن، الزيارات، لا زال الأمر مقبول، فزيارة لالة منصورة ستقام في الثامن شعبان بعد غد إن شاء الله، يوم تتم فيه السلكة، ويوم آخر يتم فيه البارود والحضرة وإطعام الطعام، وتلتقي الناس من كل صوب وحدب، وان ما أردت تأكل وتشرب سواء في دار الزاوية أو في بيوت الناس.

شكرا جزيلا لكم أخي الفاضل.

5)2 تحليل المقابلات:

من خلال المقابلة مع عمي شنة إتضح لي أن الفقارة ليست مجرد آبار يتعاون الناس لحفرها ويعودون أدراجهم، بل عملية الحفر هي مرحلة أولى، تليها مجموعة من الممارسات، تتميز بالتنظيم والدقة المتناهية، متحكمة فيها قوانين تعارف عليها السكان المحليون، نذكر منها قانون تقسيم مياه الفقارة، المتميز بالعدالة فـ " الشقفة " [&]، في ظاهرها آلة بسيطة، لكنها تمثل الحكم والقاضي بين المساهمين في حفر الفقارة، وهي أحد العوامل الرئيسية المؤدية إلى تحقيق الرضا النفسي، للمساهمين في " الفقاقير "، ثم إن " الكيّال "[é] رجل من المنطقة تتوفر فيه شروط معينة، ينال بها ثقة الجميع، هاته الشروط اتضحت من خلال كلام مبحوثي لما قال: " وجب أن يكون صادقا " فالصدق هو معيار الرجولة الحقيقي، يدل عليها كلامه اللاحق لما قال " لا يكون جبانا "، ويستوقفني حديث الرسول صل الله عليه وسلم لما قال: " الرجل لا يكذب ".[16]

إذن الكيال وجب أن تتوفر فيه قيم الرجولة، عادلا في تقسيم المياه، شجاعا في قول الحق، ونصرة المظلوم، كما أن ثقة الناس المسبقة فيه، وجب أن يؤكدها بكيله، حتى لا تهتز الثقة، فالجميع ينتظر نصيبه جرّاء كيله، ووجب أن أوضح أن الكيال يساهم بهذا الصدق في الحفاظ على استقرار هذا المجتمع المحلي، كما يساهم في الحفاظ على هذا الموروث اللامادي، الذي أدهش البعيد والقريب وخير دليل على

ذلك ما ذكره مبحوثي، حول انهيار بعثات أمريكية ويابانية، من دقة هذا النظام، رغم تطور بلدانهم التقني والتكنولوجي في هذا المجال.

إن الفقارة في كل من قصر ليشتة وزاوية الحاج بلقاسم، تعرضت للزوال شبه النهائي والسببيتمثل في حفر الآبار الحديثة من طرف السلطات المحلية " الصوندا "، وتوجه الناس إلى السقي الحديث الذي يؤدي إلى القضاء على روح الجماعة، والتوجه إلى الفردانية " الأنانية "، وبالتالي تندثر قيم الإيثار ما يؤثر على الطبقة الفقيرة التي تحقق كيانها وسط النظام القديم الذي طالما أخذها عين الإعتبار، وخصص لها نصيبا من المزارع والمياه، ويؤكد الحاج محمد من قصر أغلاد، بأن التويزة إندثرت ما أدى إلى اندثار الفقاقير، ما يؤكد لنا أن السلطات العمومية ليست السبب الوحيد في اندثار بعض الفقاقير، بل حتى السكان الذين تخلوا عن قيمهم مسؤولون عن ذلك، خاصة وأن السلطات في هاته المنطقة لم تقم بحفر آبار عصرية، بل رممت الفقارة الرئيسية " الفقارة الجديدة".

إنك لما تستمع للوهلة الأولى للكلمات التي رددها مبحوثي السيد مريني أحمد من قصر تحتايت، لما سألته عن واقع الفقارة عندهم، كـ" تبارك الله " " خيرات مولانا "، يدل على أن حال الفقارة مختلف عن حاله في القصرين السابقي الذكر، لكن هذا الإختلاف بسيط جدا فعدد الفقارات المتبقية في قصرهم إثنتان فقط، واتضح لي أن كلامه كان نابعا من قناعة ورضا بأقدار الله، مثلما يؤكده المثل الشعبي " البركة في القليل "، فقد لاحظت أن القصر مختلطا بحكم تواجده في مدينة تيميمون، يشهد على ذلك كلام مبحوثي، لما عبر عن أن هذا القصر يحوي أناسا من مختلف ربوع الوطن، أتت بهم الضرورة المهنية، فمنهم من يشتغل في سلك التربية، ومنهم التجار ومنهم الإداريون وغيرها من المهن التي لا تمد بصلة إلى الزراعة فالفقارة.

ومن مقابلتي مع مبحوثي أسلافي عبد الحميد فإني اكتشفت أن غالبية الفقاقير جفت، فمن مجموع خمس فقاقير، بقي إثنتان فقط، أحدهما نقصت كثافة مياهها وقل مسوبها، وبالتالي فإن أكثر من 60% من الفقاقير جفت بقصر الحاج بلقاسم، لسببين رئيسين هما: حفر الآبار الحديثة من طرف السلطات العمومية بالقرب من أماكن الفقاقير، وثانيا ما يترتب عن ذلك من توجه للسكان إلى نمط السقي الحديث، وقد لمست بأم عيني حين نزولي إلى المزارع التي كانت تمولها هاته الفقاقير سابقا، وتحسرت على بقايا النخيل اليابسة، وممرات

[&] آلة خاصة بتقسيم مياة الفقاقير.
[é] هو الشخص القائم على تقسيم مياه الفقاقير.

السواقي الجافة، تحسّر مرافقي عمي بلقاسم على الماجن المهدم قائلا: " آه آه إنه ماجن من الطين "، وعند استفساري عن ذلك التحسر، قال إن الماجن الذي يتم استخدامه حاليا في مزرعته من الإسمنت، وهو غير صحي مثله مثل الأنابيب التي تموله حاليا، ففي السابق كانت السواقي أرضيتها من طين، وكانت تحدث من خلالها عملية " فلترة " للمياه، فيكون نقيا خاليا من الكلس، واستعماله للسقي أو الشرب يكون صحيا جدا.

ويتضح من خلال مقابلتي مع السيد طاهيري من قصر اولاد الطاهر، أن واقع الفقارة أفضل حالا، من حالها في القصر سابق الذكر، لكن هذا ليس دليلا على أن كل الأمور بخير، فعزوف الناس حسب مبحوثي عن التويزة هو صفير إنذار وتهديد مباشر لبقاء الفقارات واستمراريتها، ويرجع السبب الأول إلى الأسرة التي وجب أن تلقن أبناءها قيم مجتمعهم، وأي تقصير في هذا المجال ينعكس على هاته الممارسات السوسيوثقافية، فتتغير المعايير ويتغير معها الفكر والسلوك، ويتوجه الناس إلى نمط عيش جديد مثلما نراه حاليا، يبتعدون عن الساقية والماجن ويستخدمون الحنفية وخزانات المياه الحديثة، يفسر ما شرحته الآن كلمة قالها مبحوثي " التمرد "، وهو الإبتعاد عن القيم المتعارف عليها واستبدالها بقيم أخرى بديلة، وإن كانت النسب متفاوتة بين التخلي عن بعض الممارسات والمحافظة على أخرى في هذا القصر حسب ما وضحه مبحوثي.

7. خاتمة:

إن دراسة القيم ذات أهمية كبيرة، لما تنطوي عليه من ميكانيزمات، تحفظ بقاء المجتمع واستمراره، وإن كنت أكاد أجزم، من خلال الفصل هذا، على تجسد بعض القيم في مخيلة وممارسات أفراد مجتمعي الجزائري الذي أعيش به، بطرق متفاوتة، حسب خصوصية كل منطقة، وبالخصوص في مجتمع دراستي بمنطقة تيميمون، من خلال الفقارة، كنموذج دراستي وغيرها من قيم تتجذر عبر ماض قريب وآخر سحيق، لكن هذا لا يمنعني من أن أدق ناقوس الحذر، مما يتسرب إلينا صباح مساء، من قيم دخيلة، قد تتنافى وخصوصية قيمنا، وذلك من خلال الغزو الثقافي المعلن صراحة من جانب البحر الآخر، والشواهد على هاته الأخطار المحدقة كثيرة وجمة، أذكر منها ما يلي:

تصريح " برلسكوني " رئيس وزراء إيطاليا في سنة 2001، الذي لم يحترم فيه مليار ونصف مليار مسلم عبر العالم قائلا: " إن الغرب مؤهل لتغريب الشرق الإسلامي، وغزو شعوب جديدة "، وكانت قد سبقته بحوالي 20 سنة، وبالضبط سنة 1991، كاتبة الدولة الأمريكية للشؤون الخارجية " مادلين أولبرايت " قائلة: " إن الأمة الأمريكية، الأمة الضرورية التي لا يمكن الإستغناء عنها، إننا في درجة عالية، وبالتالي فإننا نرى أبعد مما تراه الأمم الأخرى ". [17]

ومن هنا تكمن أهمية القيم، في غربلة ما يأتي من خارج الحدود، وتصفيته، وتكون بذلك درعا واقيا، يحمي المجتمع ويقيه من مخاطر التهديدات الخارجية، ويضمن استقراره وتماسكه.

---

[1] مقدم مبروك، الفقارة في قصور توات وأحوازها النشأة والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2016، ص55.

[2] Icomos, les patrimoines culturels de l`eau (les patrimoines culturels de l`eau au moyen – orient et au maghreb), Le Conseil international des Monuments et des Sites, France, vol1, 2015, p85.

[3] Chelylan j Paul, lès oasis sahariennes a foggara, maisson de giographie, montpellier, France,1990, pp 44-48.

[4] بوفلجة حرمة، الأحكام الفقهية لإستغلال المياه الجوفية وتوزيعها منطقة أدرار نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجيستار في العلوم الإسلامية، جامعة أدرار، الجزائر، 2008، ص ص214-215.

[5] Nadir marouf, alfougara système d'irrigation du désert merveilleux, 1er Evaluation, Séminaire International sur la Ressource en eau au sahara, Economie et Protection, ouargla, Algerie, le 19 et 20 janvier 2011, p230.

[6] Nadir marouf, Op, p48.

[7] Boualem remini et autre, la foggara en algérie un patrimoine hydraulique mondial, Revue des sciences de l'eau , université Saad Dahlab, Blida, algérie, vol 23,n 2, 2010, pp 105-194.

[8] Icomos, Op, p214.

[9] أنطوني غيدنز، ، أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ت.الصباغ فايز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2001. ص86.

[10] زايد أحمد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006. ص11.

[11] نفس المرجع، ص14.

[12] نفس المرجع، ص14.

[13] مرسي محمد عبد المعبود، علم الاجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الاجتماعي، مكتبة العليقي، القصيم، السعودية، ص 8.

[14] عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، ط2، 1990، ص394.

[15] فيليب لابورت تولرا. جان بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، ت. مصباح الصمد، مؤسسة مجد الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص185.

[16] تخريج الإحياء، 167/3 للعراقي.

[17] المنجرة المهدي، قيمة القيم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص ص12-13.